الدُّمية

ليث الصّندوق

نبدأ رحلتنا من قلب القاعة
حيثُ «الأحمرُ» يرتشفَ الألوان

★ ★ ★

الألوان توزّع حلوى الضوء
وهناك يدٌ تتحرّك تحتَ المعطف
وخيوطٌ راعشةٌ
تتدلّى من سقفِ الغرفه

★ ★ ★

قالت لي الدميةُ: انقذني، انقذني
امسكْ كفي
وتحسسْ موضعَ إقدامي
قالت: لا تترك بيتي
فأنا منذ اليوم حبيبتك
أحلمُ أن ألقاك غداً
أن أكسرَ أشجارك حتى تيبس بذرتها
ثمّ أوزّع غيثي فوقَ رمالك
قالت: عدْ فأنا لا أكره غير البعد
وأنا أعشقُ كلَّ عرائسنا
كل أنين الضوءِ الساطع
فامسك كفيَّ، وحررني من خيطي
من بردِ القاعات
من صمت العلب الورقيه
خذني تحتَ جناحيكَ، وغلغلْ في عاجي
فأكون لأتعابك حضنَ حبيب
لا أغفلُ ساعاتِ الرغبه

★ ★ ★

قالت: عدني
فأنا ايبس في ليل الغرف الظلماء
اسقطُ قبلَ نزولي
لم اتذوّق في الغابات رحيقَ الكذب
لم اتعوّدْ في المصنع تفريغَ دمٍ من قلب
تحطيمَ الابدان على سندان المسرح
لّوني من كل شتات
عاثوا بترابي، واغالوا الفعلا
وأنا لم اتعوّدْ رجفة كفٍ محمومه

★ ★ ★

قالت: ضمَّ اليكَ ذراعي
حوّلني في بلل الحبِّ إلى قلبٍ، وشفه
مرّغني بوحولكَ
حتى يخفق شيء تحت لحائي.
في أعماقي موتُ الخشب الأسود
قضبان العاج المفطوره.
النقّادُ امتصّوا ناري
النقّاد ابتعدوا حين اقتربوا من مسرحنا
حاموا حولي
واحاطوني بجليد
صفّوا احرفهم في جوفي...
ثم بصقت
كانوا ينتعلون الأحذية الصخرية
فإذا ابتدأوا الزحفَ
تراهم في مبتدأ الدربِ حفاة
النقّاد اتوني،
ولذلك ودّعت حياتي
اغمضت العينين.ولم ابرح ابراج القبر
وكذلك كانَ المخرج، والمنتج
يفترشون بساطي
وينامون إلى آخر ساعات العرض
ولهم في كل سياجٍ لصٌّ، ورقيب

★ ★ ★

كانوا اسمن من خنزير
قبراً مفتوحاً
في الركنِ لهم ضوءٌ
ونثارُ كؤوسٍ في ألحانه
في السقفِ لهم حبلٌ
وستارات فوقَ المسرح
الكذّابون يحيطون المسرح بالاهات
ولهم كفٌ
تتصرّف بالعملةِ والأوقات

★ ★ ★

قالت لي الدميةُ: لا تنسَ ثيابي
لا تنسَ مواضيعي، والأدوار
هذا البردُ رفيقُ الموتى
وأنا آمل أن اتفرّغَ للأقدار البشريه
لا تسألني،
ادركتُ خفايا النقّاد
صنّاعُ تماثيل
ومدافئُ في فصلِ الحَرِّ
النقّادُ، واعرفُ كم ضاقوا بالعرض
لكن ما يمسكهم بالفنِّ جيوبٌ خاوية

★ ★ ★

إني اغفو طوعَ نعاس الغير
أركض حينَ يملُّ الزاحف
أنتَ تراني
وأنا أُسقطُ ضوئي في عينيك
استنجدُ بالكفِّ، فتأخذني بالأمرِ الواقع
ترمقني العينُ -
فاخجل من حركاتي

★ ★ ★

الدمية قالت: ضاقَ المسرح
شاعَ الداءُ، فمن يركض نحو الأبواب؟
الصحفُ اشتعلتْ
واستمتعتا بأمان النيران
الصحفيون اغاظونا
فتردد في المسرح صوت الرعد
أأنا الدميةُ؟
أم هذي الرمم الثلجيّة؟
طيني أنقى من صوت الغارق
المسرحُ والناس عدوّان - صديقان

★ ★ ★

الدمية ملّتْ حركاتِ الظلّ
ملّت اصداءَ مغنيها
ومعيدي الإخراج
ضاقتْ بالسرداب المعتمِ -
باللون الصارخِ
واللون الباهت
ولكثرةِ ما حزنتْ، ادمنتِ الأوهام
وافاضت بكلام يجهلُهُ الروّاد
طارتْ في أركانِ الغرفة مثلَ فراشه
قالتْ: انقذني
كنتُ احبُّ
وكنتُ اضيعُ
وكنتُ المبعدة المنتهكة
حتّام أنا اتقمّصُ ادوارَ الصب؟
أُسامُ، ولا يُنقذني حبّ
صرتُ كجسمٍ لا ينبض إلا ليموت
الحبُّ يعلّمني
ويمسُّ ملاقيطي
انقذني...
انقذني...
انقذني...

★ ★ ★

كان الضوءُ يوسّعُ في القاعةِ اركاناً
ينفخُ بينَ كراسيه، فنسمع اصوات طبول
ايقاعاً سحرياً
وسحابات دخان
قلتُ: لو أنَّ الأشياءَ تكون كما تهوى
من سيعيد الروح إذن لركام الفحمِ؟
للجبنةِ..؟
والتفّاحة..؟

★ ★ ★

من سيخلّص هذا الحائطَ من اسرِ بلاطاته
من حمم الدخّانِ
ودود الاسِّ
من يجعل من هذي الأصوات ينابيعاً... وشعوباً؟
من يجعل من كلّ دُمى المسرح عشاقاً؟
أو شعراءً...؟
أو نقّاداً...؟
من يجعل من رأسي نافذةً لا تنفذ عبرَ ستارتها الأحلام؟

بغداد